فلسفة سقراط

رأينا — في العدد الرابع من هذه المجلة — أن هم الفلاسفة الذين سبقوا سقراط كان موجهاً الى الكون و إيجاد السبب الاول الذى نشأعنه واتخذ منه مظاهره المختلفة. وأتى من بعد هؤلاء السوفسطائيون الذين هدموا البحث الموضوعى بشكوكهم ووضعوا مكانه البحث الذاتى واتخذوه أساساً يشيدون عليه قواعد الاخلاق وأسس العلوم ، وكان من نتيجة هذه الذاتية أن اضطربت نظريات الاخلاق وشوهت الحقائق فقد كان يصح فى نظرهم أن يقتنع الفرد بحقيقة ما مادام يراها حقيقة ولواختلف الناس معه وكان اختلافهم صواباً وحكمة .

انتهت هذه الفلسفة الى سقراط فدرسها دراسة عميقة واستخلص منها فلسفة ولو أنها تمت الى الماضى بصلات قوية ، إلا أنها مغايرة له فى أهم مظاهرها ، بل هي حد فاصل بينه و بين الفلسفات الانسانية العظيمة التى تأسست عليها واستسقت منها وكانت طريقته فى نشرها أن يحاور الناس فى الطريق ، يتقدم اليهم متسائلا متجاهلا ثم يشعرهم بجهلهم و يدخل الشك الى قلوبهم ، و ينتهى الحوار بأن يبذر فى نفوسهم بذور المعرفة الصحيحة ، وهو فى كل محاوراته لا يبتعد بهم عما يتصل فى عقولهم من مسائل الحياة ، ذلك لانه لم يكن يفرق بين تعاليمه الفلسفية و بين الحياة نفسها .

وتختلف فلسفة سقراط عن فلسفة القدماء فى أنها تركت التجوال فيما وراء الطبيعة والتنقيب فى العناء الاول ، وهبطت الى الارض تتخلل نفس الانسان . فأهم أغراضه أن يعرف نفسه ، ويعرف الفضيلة التى شغلت من أبحاثه المحل الاول ، وكان يفخر بجهله المظاهر الخارجية ، و ينسب ما يعزى اليه من تفوق عقلى الى هذا الجهل .

وتختلف فلسفته كذلك عن فلسفة السوفسطائين ، فقد اتخذ نفس الاساس الذى اتخذوا ليبنى عليه الحقائق الا أنه وصل الى نتائج مضادة تمام التضاد مع ما وصل اليه السفسطائيون. هم اتخذوا من الذاتية وسيلة يهدمون بها الحقائق الخارجية واتخذها هو لتقرير الحقائق الخارجية . كان يسمو بالفكرة الفردية الى مبدأ عام ثابت لحقيقته وله استقلاله عن عقول الافراد وكان يصل إلى هذه الحقائق معتمدا على الاستدلال والتعريف المنطقي وقد قال ارسطو « مأثرتان تعزوان الى سقراط : وسيلة الاستدلال ، والتعريف المنطقي وهما اللذان ينى عليهما العلم »

ولكى نشرح تلك النقطة الهامة نقول إن سقراط كان ينتقل فى محاورته من بحث سلبى الى بحث ايجابى، كأن يسأل الناس كما يسأل الجاهل المتعطش الى المعرفة، فاذا أفضوا اليه بما تحويه أدمغتهم من المعارف صب عليهم سيلا من الاسئلة توقعهم بين الحيرة والارتباك وتكشف لهم عن جهلهم حقائق الامور وتبين لهم أن من الاشياء مايظهر سهلا بسيطا لايحتاج لبحث وهو فى الواقع من أعقد الامور وأعوصها ، هذا هو الجزء السلبى ، وإن كثيرا من محاورات سقراط التى وصلت الينا عن طريق افلاطون تنتهي عند هذا الحد .

وفى أثناء محادثته مع الذى يحاوره كانت تلوح له افكار لم تكن تخطر له على بال فهو يناقش عدة أمثلة ويلاحظ مابينها من تباين وتشابه واتصال وانقطاع ثم ينتهى به البحث والاستدلال الى تقرير الفكرة العامة كالعدل والسعادة وغيرهما ، وهذا استدلال يرمى الى تعريف منطقى شامل جامع مانع .

قال ارسطو « اهتم سقراط بفحص طبيعة الفضيلة كأنه مسألة مسائل الفلسفة ولهذه الغاية سأل نفسه ما العدل ؟ وما الارادة ؟ لأنه كان يعتقد أن الفضيلة معرفة »

ولما كانت الفكرة يصح اتخاذها مرشدا لجميع الاعمال التي تصدر عن أجزائها كانت الفكرة هى الكائن الحقيقى للاشياء .

واسقراط رأى فى الاخلاق كان له أثر جليل فى العالم النظرى والعالم العملى ، كان يري أن الفضيلة تنبع من المعرفة والعقل وحسن التمييز ، فالفعل الذي بلا ادراك عماء يتناقض مع نفسه والفعل الذى باعثه الادراك لا بد آت غايته ، ويبنى على ذلك أن ليس هنالك شر يقع مع الادراك أو خير من غير الادراك .

وإنما الادراك الناقص هو الذى يهوى بالناس الى أعماق الرذائل ، ومن هنا نشأ القول بأن الانسان خير بطبيعته وإنه يساق لارتكاب الرذائل رغم إرادته ومن يفعل الشر ويصدر ذنبه عن معرفه وادراك خير من الذى يفعله وهو يجهله لأنه فى هذه الحالة صنع الخير بلا معرفة أو بمعنى آخر بلا فضيلة ، أما فى الحالة الاولي فقد أسيء استعمال الفضيلة ولكنها موجودة على كل حال .

وكانت نتيجة هذا الرأى منطقيا هى إيجاد وحدة لجميع الفضائل ، ولما كان فعل الخير هو فى الواقع إدراك عقلى انتهينا الى أن هذا الادراك هو واحد مهما كان اتجاهه مصوبا الى أى موضوع من مواضيع الفضيلة .

وثمة نتيجة أخرى عملية وهى تعليم الفضيلة ما دامت معرفة وإمكان نشرها بين جميع الأفراد بالممارسة .

وهكذا وضع سقراط الحجر الأساسى لنظرية الاخلاق ولكنه لم يحاول السمو بها ، وكان يحاول الوصول الى السعادة عن طريق الفضيلة ، ونهاية السعادة فى نظره أن يسموفوق مطامع الحواس ، وأن يتحرر من الرغبات فيرتفع الى مصاف الآلهة وأن يثق بقوة الروح .

(سقراط الفيلسوف اليونانى)

وترى من وسيلة سقراط أنه لم تكن له مدرسة ، وإنما كان له تلاميذ ، وقد اختلف هؤلاء الاتباع فى فهم فلسفته الى حد التناقض مع بعضهم البعض ومعهم ومع سقراط نفسه .

وقد أنشأ ثلاثة من هؤلاء الاتباع أهم المدارس : الأولى المدرسة الكلبية وتتفق تعاليمها مع تعاليم سقراط فى أن الفضيلة معرفة يمكن تعليمها ، وهي مبنية على التخلص من الرغبات كلها حتى يتوصل الى السعادة ، وقد دعا ذلك بعض أتباعه الى الانزواء عن العالم والازراء بقوانينه وتعاليمه ومن أشهر هؤلاء ديوجينيس .

والثانية المدرسة القورينائية ، ومؤسسها ارسطيبس وكان يقول : إن السعادة هى غاية الوجود وفهم منها أنها اللذة ، فكل ما يوصل الى اللذة خير ، إلا أنه يلزم لذلك ألا يترك الانسان لشهوته العنان فتتحكم فى نفسه .

والثالثة المدرسة الميغارية . وقد عرفت الخير بأنه الكائن التى ، فليس مذهبها إلا تعبيراً سقراطياً طرأ على فكرة الاليين .

لم تتمم هذه المدارس فلسفة سقراط ، وإنما الذى تممها وزاد عليها وكون نظاماً فلسفياً عاماً هو أفلاطون . ولنترك تلخيص فلسفته الى مقال آخر ؟

حقوق الطبع محفوظ

أطلبوا

الأعداد الناقصة من الادارة مباشرة

شارع بيت القاضى رقم ٥ بمصر